أصول قضايا المستقبل في السنة النبوية

الدكتور سدرة سعد
المغرب

الملخص:

تسعى هذه المقالة إلى إبراز الاهتمام الكبير الذي أولته السنة النبوية للمستقبل، وبيان أصول بعض قضاياه المهمة، حتى يتكون لدى المسلم تصور واضح عن المستقبل الذي هو مشرف عليه؛ وقد توزعت هذا المقالة إلى ثلاث مباحث، أولها يتعلق بمستقبل الدين وما ستصير إليه رسالة الإسلام في آخر الزمان، والثاني حول مستقبل الأمة وما هي مقبلة عليه من تحديات في القادم من أيامها، أما المبحث الثالث فخصص للحديث عن المستقبل الأخروي وما ينتظر الإنسان بعد موته، حتى يستعد لذلك على أكمل وجه.

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين ومن سار على هديهم وهداهم إلى يوم الدين وسلم تسليما آمين.

وبعد؛

من المعلوم أن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان تقتضي وجود ما يرشد المسلمين، ويوجههم إلى ما ينفعهم على اختلاف أزمنتهم

وأمكنتهم، وتحذيرهم مما من شأنه أن يجلب لهم الهلاك في دنياهم وآخرتهم.

لذلك كان الخطاب الشرعي حريصا على توجيه نظر الأمة إلى الاهتمام بما هي مقبلة عليه في المستقبل من أيامها؛ قصد حسن الاستعداد لما سيقع، عن طريق العمل على تحصيل المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد التي أخبر عنها أو تقليلها.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث باعتباره يعالج قضية مهمة من القضايا التي تشغل حيزا مهما ضمن انشغالات العقل البشري، (لأن تزايد أهمية استشراف مستقبل المجتمعات يجد جذوره في بنية العالم المعاصر وطبيعته الدينامية)[1]، والتي تتمثل في محاولة معرفة المستقبل واستشرافه، ومحاولة الاستعداد له بأفضل طريقة ممكنة؛ لأن هذا مما تمليه طبيعة الحياة البشرية عموما والمعاصرة خصوصا.

والناظر في نصوص الوحي يجد أن المستقبل المشار إليه في القرآن والسنة، يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: ما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم، ووقع زمن بعثته الشريفة.
- القسم الثاني: ما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم، ووقع بعد وفاته، ويمتد هذا القسم ليشمل كل ما وقع إلى يوم الناس هذا.
- القسم الثالث: ما أخبر عنه الصادق الأمين، ولم يقع بعد.

وهذا القسم الثالث هو موضوع هذا البحث، فعند حديثي عن مستقبل الدين أو الأمة، فالمقصود هو ما نحن مقبلون عليه من الأيام إلى قيام الساعة.

مع ضرورة التأكيد على أن هذه الإخبارات في مجموعها –رغم اختلاف أزمنتها– تقدم دليلا قاطعا على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ الإخبار بالأمر المستقبل، ووقوعه على الوجه المخبر به، لا يكون إلا ممن أيده الله بالوحي، ووقوع ذلك من المخلوق وحده مستحيل قطعا، قال عز وجل: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ)[2]، قال ابن كثير رحمه الله: (قول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول معلما لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب. وقوله: (إلا الله) استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله –عز وجل–، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له)[3].

كما أننا عند دراسة الأحاديث النبوية المخبرة عن المستقبل، نستطيع بناء تصور واضح المعالم عن المستقبل، من خلال نصوص الوحي التي ترشد المسلم في المستقبل، فلا تدعه محتارا خائفا من المستقبل الذي يشغل بال البشرية، والتي سلكت في سبيل معرفته عدة سبل غير مشروعة في محاولتها كشف أستار هذا النوع من الغيب، كالتنجيم والاستقسام والكهانة.

وفي معرض بيان ضرر ذلك على الحضارة البشرية، وبيان وجه من أوجه تحريم الشارع للوسائل التي يسلكها بعض البشر للاطلاع على الغيب يقول الدكتور إلياس بلكا: (ولا يقدر هذا الموقف الإسلامي حق قدره إلا من درس الكهانة قديما، وأدرك إلى أي مدى أفسدت العقل الإنساني، وأعاقت كل تفكير علمي يخص المستقبل، فأخرت بذلك ظهور الحضارة قرونا)[4].

لذلك يمكننا القول بأن ما ذكر في هذا البحث من أحاديث تعتبر أصولا في بابها، تشكل خطوطا عريضة، ومصدرا شرعيا لما سيقبل عليه الإنسان في المستقبل، والجمع بينها وحسن فهمها يعين على الاستعداد الأمثل لهذا المستقبل، مع ضرورة كبح النفس البشرية التواقة لمعرفة الغيب عن هتك حجابه بمحرم من المحرمات.

لكل هذا، يهدف هذا البحث إلى تقديم إجابة عن السؤال المركزي التالي: ما هي المعالم الكبرى التي تميز مستقبل الدين والأمة؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية لازمة له، وتتمثل في:

- كيف كان حديث السنة عن هذه القضايا المتعلقة بالمستقبل؟
- وما هي الأحاديث الأصول التي تشكل المعالم الكبرى لمستقبل هذه القضايا؟

هذا وقد جعلت الكلام في هذا البحث مقسما إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول: مستقبل الدين.
- المبحث الثاني: مستقبل الأمة.
- المبحث الثالث: مستقبل المصير الأخروي.

مقتصرا في كل مبحث على ذكر بعض الأحاديث التي تشكل أصولا في بابها، ومعتمدا في ذلك منهجا تحليليا تركيبيا، ومستندا على أقوال أهل العلم والاختصاص من شراح الحديث النبوي، وغيرهم من أهل العلم ممن عالجوا الموضوع في كتاباتهم بشكل أو بآخر.

- **المبحث الأول: مستقبل الدين.**

المستقبل هو كل زمن يلي الحاضر، وعند الحديث عن مستقبل الدين، فالمقصود هو مآل الدين في هذه الدنيا، انطلاقا من هذه اللحظة، إلى قيام الساعة.

لذلك تبرز لنا هذه القضية جانبا من جوانب الإعجاز في نبوته صلى الله عليه وسلم، وصورة من صور إعجاز سنته المطهرة، وذلك عندما يخبرنا رسولنا الكريم عن مستقبل هذا الدين، فإلى أين سيؤول أمر الدين في المستقبل؟

إن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين، ولا ينكر ذلك إلا جاهل مكابر، ومما يضمن استمرارية هذا الصلاح، نظر العلماء المجتهدين فيما يستجد للناس من القضايا، وهذا الاجتهاد مما أجمع العلماء على عدم انقطاعه ما بقي التكليف، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (الِاجْتِهَادُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْقَطِعَ حَتَّى يَنْقَطِعَ أَصْلُ التَّكْلِيفِ، وَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ)[5].

ومن البشارات النبوية المستقبلية التي استنبط منها هذا المعنى، ما رواه الإمام أبو داود في سننه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[6] .

وتعليقا على هذا الحديث يقول أبو الحسن السندي رحمه الله: (لا شك في أن لبعد الأزمنة وانقضاء القرون تأثيرًا عاديًا في وهن أمر الشريعة والدين، لذلك أقام الله من هذه الأمة على رأس مائة سنة عالما واحدًا أو أكثر من علماء هذه الأمة مقام أنبياء الأمم السالفة في تجديد الدين وتأسيس قواعده ودفع البدع والوهن عنه، ولذلك جاء العلماء ورثة الأنبياء).

ومما يلحق هذا السياق التبشيري التحذيري المستقبلي منه صلى الله عليه وسلم، ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)[7].

هذا الحديث يصف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الدين وطبيعته، مرغبا ومبشرا بيسره، ومحذرا لأمته من الإفراط والتعنت الذي قد يقودهم في نهاية الأمر إلى الانقطاع، قال ابن حجر رحمه الله: (والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب. قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع، المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته)[8].

ويلحق بهذه الإخبارات النبوية المستقبلية، إخباره صلى الله عليه وسلم بما سيؤول إليه أمر الدين في آخر الزمان من الغربة كما كان الحال في أول البعثة، وفي هذا المعنى أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)[9] .

هذا الحديث فيه تحذير وبشرى؛ أما التحذير فهو من جهة ما سيصير إليه أمر المسلمين من قلة واضطهاد كما كان الحال أول البعثة النبوية، والبشرى فيه لمن كان من أهل ذلك الزمان، وصبر على ما سيلقاه من التضييق والمشقة في الثبات على دينه.

ويعضد هذا الأمر ما أخرجه الإمام الترمذي في سننه، عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)[10] ومعنى الحديث كما قال صاحب تحفة الأحوذي: (كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم)[11]، كما كان حال الصحابة في صدر الإسلام من صبرهم على أذى قريش والمشركين.

وكما جرى الأمر في منهج الشريعة بين الترغيب والترهيب، وبين البشارة والتحذير، يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستقبل وما سيحمله لهذا الدين. فعن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (لَتُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَتْ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُ نَقْضِهَا الْحُكْمُ وَآخِرُهَا الصَّلَاةُ)[12].

ففي هذا الحديث علامة من علامات النبوة، حيث أخبر عن أمور غيبية وقع بعضها، وسيقع البعض الآخر. والمعنى أن الناس لا يتركون الإسلام مرة واحدة، ولكن رويدا رويدا، وذلك بأن يهملوا بعض أركانه، ثم بعضها الآخر، حتى لا يبقى منه شيء. (فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا: الْحُكْمُ) وهذا مشاهد في واقع أمتنا اليوم بشكل واضح، حيث استبدل أو خلط شرع الله في الكثير من بلدان العالم الإسلامي بقوانين وضعية بشرية، متسمة بالنقص والقصور الملازم لواضعيها من البشر؛ ناهيك عن ما في هذا الأمر من مخالفة صريحة لأمر الله –عز وجل–: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)[13]، ولا يغيب عن ذوي الفهوم ما في الأمر من مفاسد تجلب ومصالح تعطل بسبب البعد عن تحكيم شرع الله الذي يهدف في أصله إلى إصلاح حياة الناس كبيرهم وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، رجالهم ونسائهم، غنيهم وفقيرهم.

والناظر في إخبارات الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو واقع في المستقبل، يجدها دالة على صدق نبوته، لكنها أيضا تتضمن تحذيرا من أجل العمل على دفع ما حذر منه ما أمكن ذلك بطبيعة الحال، وهذا من لوازم الإخبارات المستقبلية.

ومن الأمور التي أخبر عنها نبينا الكريم، وحذر منها كذلك، انتشار الجهل والتجرؤ على الفتوى، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: حج علينا عبدالله بن عمرو فسمعته يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ)[14].

هذا الحديث في ظاهره إخبار بما سيحدث في المستقبل، لكنه يحمل تحذيرا شديد اللهجة في النهي عن سؤال الجاهل، والتصدي للفتوى دون بلوغ مرتبتها وتحقيق شروطها التي حددها العلماء، وغير هذا من الأمور المحذر منها، والأمور المأمور بها عن طريق التضمن.

يقول ابن حجر رحمه الله تعليقا على هذا الحديث: (وفي الحديث الزجر عن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة، وقد يتمسك به من لا يجيز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان عاقلا عفيفا، لكن إذا دار الأمر بين العالم الفاسق والجاهل العفيف فالجاهل العفيف أولى، لأن ورعه يمنعه عن الحكم بغير علم، فيحمله على البحث والسؤال، وفي الحديث أيضا حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض وفيه شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل وفيه حض العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيد ما ليس عنده وفيه التثبت فيما يحدث به المحدث إذا قامت قرينة الذهول ومراعاة الفاضل من جهة قول عائشة اذهب إليه ففاتحه حتى تسأله عن

الحديث ولم تقل له سله عنه ابتداء خشية من استيحاشه... ومعنى الحديث ذم من أفتى مع الجهل ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال وإلا فقد مدح من استنبط من الأصل لقوله "لعلمه الذين يستنبطونه منهم")[15] .

خلاصة القول في هذه المسألة، أن الإعجاز في سنة الرسول صلىالله عليه وسلم واقع من جهات، أولها أنها تضمنت إخبارا عن المستقبل، وثانيها أن هذا الإخبار فيه تحذير مما سيقع، فوجب العمل على مدافعة القدر بالقدر ما أمكن ذلك، والبعد عن الاتكال والاحتجاج بالقدر المذمومين شرعا. فإخباره صلىالله عليه وسلم عن ترك المسلمين العمل بأحكام الدين رويدا رويدا، يتضمن تحذيرا شديدا لمن ظن أن هذه الأحكام تقبل الأخذ ببعضها دون البعض، إنما يجب الحرص على الأخذ بها جملة –مع ضرورة فقه الواقع والأولويات وعدم إهمالها– امتثالا لقوله –عز وجل– (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ)[16] . كما يجب على المسلم مراعاة السياقات والأزمنة والأمكنة المختلفة، والتي تفرض على المسلم أحيانا العمل بحكم دون حكم، فبلاد المسلمين ليست كغيرها، وأحكام الأقليات في الفقه الإسلامي شاهدة على ذلك، ومن أنكر ذلك أفسد الشريعة بجهله، ونسب إليها ما لا يليق، وأوقع الناس في الحرج والمشقة.

ولا شك في أن التقصير سيقع، إلا أن أمر الإسلام في آخر الزمان سيؤول إلى عزة وغلبة بعد كل ما سبق ذكره، وذلك عند نزول نبيالله عيسى عليه السلام، وقد بشر محمد صلىالله عليه وسلم بنزوله وحكمه بشريعة الإسلام –فهي خاتمة الشرائع بلا ريب– فقال عليه الصلاة والسلام: («كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟»، فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي ذِئْبٍ: إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ، حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: «تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟» قُلْتُ: تُخْبِرُنِي، قَالَ: «فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»)[17].

● **المبحث الثاني: مستقبل الأمة.**

مستقبل الأمة من القضايا التي تحتل حيزا مهما في الخطاب الشرعي، فهي المكلفة في مجموعها بحمل هذا الدين وتبليغه، وهو أساس تفضيلها عن باقي الأمم.

والمراد بمستقبل الأمة، تلك المعالم الكبرى التي وضعتها نصوص السنة، والتي تتعلق بما ستلقاه الأمة المسلمة في المقبل من أيامها، فيما يتعلق بعلاقتها بغيرها ووحدتها، مع التأكيد مجددا على أن الكلام في هذا البحث يتعلق بالأحاديث التي تحمل بشارات أو تحذيرات لم تقع بعد، حتى يكون للمسلم تصور واضح عما هو مقبل عليه. فالتخطيط للمستقبل أمر في غاية الأهمية بالنسبة للإنسان، وخاصة المسلم، وهذه السنة أمامنا تقدم لنا تصورات واضحة عما نحن مقبلون عليه، لأن الأمة في مجموعها مطالبة بالتخطيط لمستقبلها وحسن الاستعداد له.

ولا بد للمخطط أن يكون متفائلا، لأن التفاؤل باعث على العمل والاجتهاد، ومما ينمي هذا الشعور في المؤمن نفسه قول نبينا صلىالله عليه وسلم: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُاللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)[18]. وعند البخاري عن المغيرة بن شعبة رضيالله عنه، عن النبي صلىالله عليه وسلم، قال: (لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)[19] .

والظهور والغلبة على المخالف تكون بالحق والعلم وقوة الحجة، وإذا اقتضى الحال تكون غلبة بالقوة أيضا في حال استباحة العدو لحرمة المسلمين، وهذا مما لا يخفى على المتأمل في أحوال الخليقة.

قال ابن حجر –رحمهالله–: (قوله حتى يأتيهم أمرالله وهم ظاهرون أي على من خالفهم أي غالبون، أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين، بل مشهورون والأول أولى)[20] ويمكن الجمع بين هذه المعاني المحتملة من لفظ الظهور رغم تعددها، ذلك أن النصرة والغلبة تكون سببا إلى الشهرة، ولا يكون هذا الحال من مستتر في الغالب،والله أعلم.

بالرجوع إلى بشارات الرسول صلىالله عليه وسلم لهذه الأمة نجد أنه –عليه الصلاة والسلام– ربط الخيرية في أفراد هذه الأمة بالتفقه في الدين، قال حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية، خطيبا يقول سمعت النبي صلىالله عليه وسلم يقول: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)[21]، هذا التفقه والفهم السديد للدين هو هبة من الله –عز وجل– يهبها لمن يشاء من عباده، وليس المقصود منه مجرد الفهم العميق، ولكنه فهم وعلم يكتمل بالعمل وفق شرعالله؛ قال ابن القيم –رحمهالله–: (من أرادَ به خيرًا فقَّهه في دينه، ومن فقَّهه في دينه فقد أراد به خيرًا إذا أُريدَ بالفقه العلمُ المستلزمُ للعمل. وأمَّا إن أُريدَ به مجردُ العلم فلا يدلُّ على أنَّ من فَقُهَ في الدِّين، فقد أُرِيدَ به خيرًا؛ فإنَّ الفقه وقتئذ يكونُ شرطًا لإرادة الخير، وعلى الأول يكونُ موجِبًا،والله أعلم)[22].

من هنا يكون العلم والعمل شرطين للخيرية وسببان لظهور الأمة على غيرها، وفي الحديث أيضا حث للمسلمين على صرف الجهد نحو التعلم والعمل قصد تحصيل هذا الخير الذي يعود على الفرد والأمة بالنفع في المستقبل من أيامها وآخرتها.

بالرجوع إلى ما سبق ذكره في البداية من تنوع إخبارات الرسول صلىالله عليه وسلم عن المستقبل بين تبشير وتحذير، نجد في السنة ما يحذر الأمة من خطر التفرق المؤدي إلى الضعف، وهو واقع لإخباره –عليه الصلاة والسلام–، (وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئا فشيئا)[23] .

ومن المعلوم أن المقصود بهذه التفرقة والاختلاف هم أهل الفرق والمذاهب العقدية لأنه صلىالله عليه وسلم عندما ذكر الحديث (لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة وما جرى مجرى هذه الأبواب. لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضا بخلاف النوع الأول، فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف)[24]، وهذا من الاختلاف المذموم شرعا لأنه سبب في التلبيس على الناس وفساد دينهم، ومدعاة للفرقة، لذلك حذر منه الرسول صلىالله عليه وسلم، وفي التحذير منه نهي عنه، ودعوة إلى الابتعاد عنه وعن كل ما يقرب إليه؛ ولأنه من غايات الدين تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة، لذلك حمدت الوحدة، لأنها أجلب للنفع، وكرهت التفرقة لأنها أجلب للضر.

ولهذا قال صلىالله عليه وسلم: (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا)[25]. ومنعالله –عز وجل– نبيه ما سأله، إنما كان من باب جريان سنته تعالى في خلقه، اختبارا لهم، قال –عز وجل–: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)[26]. لهذا وجب على الأمة في مجموعها ترك أسباب الفرقة والخلاف، والحرص على أسباب الوحدة والألفة. وهذه حقيقة فقه الاختلاف، ولا يخفى ما بين فقه الاختلاف وبين الشهود الحضاري من علاقة جدلية.

ومما جرى عليه نهج النبوة في تنبيه المسلمين إلى ما من شأنه أن يفسد عليهم دينهم، ما جاء على لسان أبي بكر الصديق رضيالله عنه أنه قال: (أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[27] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلىالله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ

مِنْهُ»)[28]. وفي بيان كلام أمير المؤمنين يقول العلامة المباركفوري: (خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير تأويلها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره عن المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به وقد صولحوا عليه فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه. وقال النووي وأما قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" الآية، فليست مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى" فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف إذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه)[29].

هذا التحذير منه صلى الله عليه وسلم، إذا لم يعمل به كما بين ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كان سببا في نزول العذاب بهذه الأمة، لأن الله –عز وجل– جعل الخيرية في هذه الأمة مقترنة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[30]، لكن سكوت أهل الحق، وكثرة أهل الفجور والمعاصي تكون سببا في هلاك الجميع، مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: (يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث») [31].

هذه الأحاديث النبوية في مجموعها – وغيرها كثير– تشكل لنا مثالا واضحا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل هم مستقبل هذه الأمة، ما جعله يكثر من الحديث في شأن ما هي مقبلة عليه من الفتن، حتى تأخذ حذرها إن هي عملت بسنة نبيها المصطفى الكريم، وتعد العدة لمواجهة ما أخبرها نبيها بوقوعه، ودفعه ما أمكن ذلك، وإن كان الأمر واقعا لا محالة، لكنه من باب مدافعة القدر بالقدر.

لذلك أقول إن الأمة مشرفة على تحديات تمس جوهر وحدتها، منها ما يرجع إلى الغة، ومنها ما يرجع إلى أسباب خارجية، ومنها ما يرجع إلى أسباب داخلية ونفسية، وهذا الأخير من أسباب الاختلاف الخِلقية، التي ركبها الله تعالى في الإنسان، لهذا جاءت نصوص الوحي لضبط وحكم هذه المنازع النفسية، حتى لا تجر الناس إلى الهلاك في الدنيا قبل الآخرة.

●المبحث الثالث: المستقبل الأخروي.

يتخذ الحديث عن المستقبل الأخروي في السنة النبوية منهجين متقابلين، الأول ترغيب في نعيم الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل. والثاني ترهيب من أهوال يوم القيامة وعذاب جهنم وما يقود إليها من قول وعمل.

لذلك جعلت الحديث في هذا المحور على قسمين:

1. حديث السنة ترغيبا في الجنة.
2. حديث السنة ترهيبا من النار.

وغاية الحديث في هذه المسألة هو بيان الأصول المستمدة من نصوص السنة النبوية، المؤسسة لتصور المؤمن حول مستقبله الأخروي، وكيف رغب نبينا في الجنة وبين سبيلها، وحذر من النار وبين سبب الوقوع فيها. والمتأمل في طبيعة الخطاب الشرعي، يجده موجها للإنسان المسلم إلى حسن الاستعداد للغد، البعيد منه والقريب، الدنيوي منه والأخروي، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)[32].

1. حديث السنة ترغيبا في الجنة ونعيمها.

أسس الرسول الكريم خطابه لأمته على قاعدة أساس تخص مصيرها في الآخرة وهي المتضمنة في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[33]، لأن الأصل في غاية المسلم دخوله الجنة برحمة الله -عز وجل- إذا حسن إسلامه، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وهو رديفه على الرحل: (»يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذا يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثما)[34]، لقد كان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بعدم إخبار الناس مبنيا على علة مصرح بها، وهي عدم الاتكال الذي قد يصيب المسلم حال فهمه لحديث رسول الله في معزل عن أصول الشريعة وتعاليمها التي تحث المسلم على عدم ترك العمل، وعدم الاغترار بعمله، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ)[35].

لكن من رحمة الله بعباده أنه لا يغلق باب التوبة إلا عند الموت أو طلوع الشمس من مغربها، لذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه قال: (عن عبد الله، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «... وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»)[36]. وهذه بشرى منه -عليه الصلاة والسلام- لأمته بعدم القنوط من رحمة الله تعالى، والمبادرة بالأعمال حتى ولو لم يبق في عمر الإنسان إلا القليل، بل حتى إذا قامت الساعة، فذلك لا يمنع المسلم من عمل الخير ما أمكنه ذلك، لقول المصطفى -عليه الصلاة والسلام-: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[37]، ذلك أن الله غير مخلف وعده، وأنه يجزي كل نفس بما عملت، وأنه أعد لعباده الصالحين من النعيم ما لا يخطر على بال بشر، بشرط طاعته وعدم الشرك به.

حتى إن الله -عز وجل- من باب تفضله على المؤمنين وتحفيزا لهم، خصهم دون غيرهم بفضائل جمة كما جاء عن أنس بن مالك، أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ)[38].

فنفس الإنسان تتشوف إلى المستقبل بطبعها، رغبة في منافعه الممكنة، فما بالك بالتي علمت عن طريق الخبر الصادق أن كل عمل صالح في الدنيا سيجلب لها النفع العظيم يوم القيامة، وبذلك يتشكل حافز قوي للمسلم في حياته، للعمل بما يجعل مستقبله الأخروي على الشاكلة التي وعد بها الله رسوله والمؤمنين، ومن أصدق من الله وعدا.

2. حديث السنة ترهيبا من النار وعذابها.

تقدم الحديث في القسم الأول من هذه المسألة حول القاعدة المستمدة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل أمته يدخلون الجنة إلا من أبى، لذلك توعد الله عز وجل العصاة بالعذاب في الآخرة، سيرا على منهج الترغيب والترهيب الذي تحدثنا عنه آنفا.

ومن مقتضيات منهج الترهيب، ذكر ما من شأنه أن يكون رادعا لكل من تجرأ على حدود الله في الدنيا، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا)[39]، هذا الإخبار منه بما سيلقاه العصاة في المستقبل نتيجة

معصيتهم، يعتبر رادعا لنفس الإنسان التي تسول لصاحبها فعل السوء، لأن النفس بطبيعتها جبلت على الخوف من عواقب السوء، سواء في الدنيا أو الآخرة، لذلك كانت أحاديث الرسول صلىالله عليه وسلم تتسم بأسلوب التشديد والوعيد على من خالف أمر الله عز وجل، وتذكر الناس بأن مصيرهم في المستقبل سائر إلى الحساب، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)[40]، فمن كان مصيره إلى حساب وجب عليه الإعداد له، وعدم الغفلة عن أعماله التي سيحاسب عليها، لأنه لا يدري أي الأعمال تهلكه وأيها تنجيه.

فعن عبدالله، قال: حدثنا رسول الله صلىالله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار)[41] وهذا الحديث أشد ما يكون في التحذير من سوء الخاتمة، وأن الإنسان يجب ألا يغتر بعمله في الدنيا؛ لأنه لا يعلم ما كتبالله له في المستقبل من أيام حياته، لذلك وجب الحرص على صدق النية والعمل إلى آخر العمر.

بل إن الأمر لا يقف عند هذا الحد، ذلك أن الإنسان لا يدري أي أعماله تدخله الجنة أو النار، لذلك أرشدنا رسولالله صلىالله عليه وسلم إلى مجموعة من أعمال الخير التي تدفع عن الإنسان ما لا يعيره اهتماما من الذنوب والمعاصي، ومن ذلك وصيته للنساء، فعن أبي سعيد الخدري رضيالله عنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ)[42]. والمراد بالكفر المذكور في الحديث ليس الكفر المخرج من الملة، وإنما هو كما يقول الإمام ابن حجر: (أن الطاعات كما تسمى إيمانا كذلك المعاصي تسمى كفرا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة، وخص كفران العشير من بين أنواع الذنوب لدقيقة بديعة وهي قولهﷺ: (لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[43]، فقرن حق الزوج على الزوجة بحقالله، فإذا كفرت المرأة حق زوجها، وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلا على تهاونها بحقالله، فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج عن الملة)[44]، وهذا من أعظم أساليب التحذير النبوي، والتي بين من خلالها عظم الذنب الذي تقترفه بعض النساء دون إدراك منهن لقبحه، وعظم المترتب عليه في الآخرة.

وعلى النهج نفسه جاء تحذير المصطفى –عليه الصلاة والسلام– من أمر عظيم آخر يتسبب في هلاك الناس في الآخرة، ألا وهو تضييع حقوق الناس، لأن النفس إذا تجردت من قيود الشرع جرت صاحبها إلى الهلاك وانتهاك حرماتالله والتعدي على حقوق الناس، وهذه طبيعة النفس الغافلة التي لا تدرك عواقب الظلم والتسلط على أموال الناس وحقوقهم، فجاء التحذير منه صلىالله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضيالله عنه، قال: قام فينا النبي صلىالله عليه وسلم، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، قال: (لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ)[45]، فهذه حقوق الناس التي تسلط عليها غيرهم في الدنيا تكون وبالا على من أخذها في الآخرة، لأن الرسول صلىالله عليه وسلم قد حذر الناس من هذا، جاء في فتح الباري: (وقوله قد بلغتك، أي فليس لك عذر بعد الإبلاغ، وكأنه صلىالله عليه وسلم أبرز هذا الوعيد في مقام الزجر والتغليظ)[46]، لذلك وجب الاعتبار من كل مسلم كان همه النجاة في الآخرة، لأن رسولالله صلىالله عليه وسلم لم يدع أمراً من الأمور المهلكة في الآخرة إلا وبينه لأمته مصداقا لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[47]. فمن كمال الدين، بيان ما يفسده، وما يكون سبب الخسران في الآخرة. ومن صور هذه المهلكات ما أخبرنا به رسولنا الكريم في الحديث الصحيح

الذي رواه الإمام مسلم عن أسامة بن زيد، قال: سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم يقول: (يُـؤْتَى بِالرَّجُلِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، فَـ يُـلْقَى فِي النَّارِ، فَـ تَـنْدَلِقُ أَ قْـتَابُ بَطْنِهِ، فَـيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَـيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَـيَـقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَ تَـ نْـهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَـ يَـقُولُ: بَـلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)[48]، فوجه التحذير في الحديث أن العذاب يلحق من اتصف بهذا، لأنه لم يعمل بما علمه من أمرالله عز وجل ونهيه، رغم أنه كان يبلغ ذلك للناس، وهذا فساد التدين والعياذ بالله، لأن التدين الحق عندالله عز وجل هو ما وافق فيه الظاهر الباطن، وما كان القول فيه يطابق العمل، لذلك حذر الرسول عليه الصلاة والسلام من عاقبة هذا الأمر وبين قبح عقوبته في الآخرة، كما يفضح‌الله مرتكبه أمام الناس والعياذ بالله.

ومما نختم به الحديث في هذا القسم، أمر حذر منه الرسول الكريم صلى‌الله عليه وسلم، لأنه منتشر بين الناس، وفيه من الجرأة على الله –عز وجل– ما يصير الإنسان من حال إلى حال، ويبعده عن الجنة، ويقذفه في النار، عن جندب رضي‌الله عنه، أن رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم حدث: (أن رجلا قال: والله لا يغفرالله لفلان، وإن‌الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك(وقول المتألِّي والله لا يغفرالله لفلان ظاهر في أنه قطع بأن‌الله تعالى لا يغفر لذلك الرجل وكأنه حكم على‌الله وحجر عليه وهذه نتيجة الجهل بالأحكام الإلهية والإدلال على‌الله تعالى بما اعتقد أن له عنده من الكرامة والحظ والمكانة ولذلك المذنب من الخسة والإهانة)[49]. وهذا مما لا يجوز في الشرع، ولا يصدر إلا عن مغتر بعمله، محتقر لغيره، جاهل بربه ومتجرئ على أمره، لذلك حذرنا رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم من مغبة الوقوع في هذا الأمر العظيم، حتى لا يكون الإنسان سببا في هلاك نفسه في المستقبل بين يدي ربه.

خاتمة.

إن الناظر في نصوص السنة النبوية الشريفة المخبرة عن المستقبل يجد أنها أولت عناية كبيرة بالقضايا الكبرى للمستقبل البشري، وما هذه الأحاديث الأصول التي تضمنها هذا البحث إلى مثال على ذلك[50]، وهذا الاعتناء راجع إلى أن المستقبل مجال للفعل البشري، لذلك وجهنا القرآن إلى ضرورة الاستعداد للمستقبل، كما أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمجموعة من الأحداث التي تشكل في مجموعها صورة واضحة عن المستقبل الذي نحن مقبلون عليه، فلذلك وجب علينا فقه هذه الأحاديث واستثمارها على نحو عملي يسهم في رفعة هذه الأمة.

وفيما يلي أهم النتائج التي خلص إليها هذا البحث:

- المستقبل لهذا الدين، رغم ما يعترضه من عقبات ومكر أعداء.
- حذرت السنة من التشدد في الدين والتفريط فيه، وشددت على ضرورة التوازن والاعتدال في العبادة لتجنب الوقوع في الإفراط أو التفريط.
- غربة الإسلام في آخر الزمان ابتلاء من الله ليميز الخبيث من الطيب.
- أكدت السنة على خطورة الفرقة بين المسلمين، وأنها تؤدي إلى الضعف والانهيار، داعية إلى الوحدة والتمسك بأصول الدين.
- رغم التحذيرات، بشرت السنة بعودة العزة والقوة للإسلام في آخر الزمان، خصوصًا عند نزول نبي الله عيسى –عليه السلام–، وإنهاء أعظم فتن الأرض ألا وهي الدجال.
- المستقبل الأخروي أهم ما كلف البشر بالاستعداد له، فهو الغاية العظمى وما دونه زائل.
- الإخبارات النبوية المستقبلية تهدف إلى تحفيز المسلمين من أجل الصبر على ما سيلقونه، والعمل على دفع الشر وتأخير أسباب وقوعه ما أمكنهم ذلك، والعمل على استجلاب أسباب الخير ما أمكنهم ذلك، وهذا من باب مدافعة القدر بالقدر[51].

ولا يخفى على المشتغل بهذا النوع من الإخبارات المستقبلية، أنها لا تزال حقلا بحثيا خصبا؛ نظرا لقلة المشتغلين به، وهذا ما يجعل لهذا النوع من الأبحاث آفاقا عديدة تغري الباحثين بخوض غمارها. ويمكن أن نجمل بعضها فيما يلي:

- البحث الاستشرافي بحر مترامي الأطراف، والبحث التكاملي بين علوم الوحي والعلوم الاجتماعية والتجريبية، شرط أساس لخوض غماره.

●نصوص الوحي تشكل الحجر الأساس في العمل الاستشرافي، لذلك وجب العمل على جمع النصوص المتعلقة بهذا المجال، لتشكل في مجموعها قاعدة ينطلق منها الباحثون.

●كتب السنة تزخر بأحاديث مخبرة عن المستقبل، تحتاج تحقيقا حديثيا من جهة أسانيدها، ليكون البناء عليها سالما من القوادح من هذه الجهة.

●قضايا المستقبل في نصوص الوحي عديدة، يجب العناية بها، لتكون هذه الأمة على بينة مما هي مقبلة عليه.

إن خيرية هذه الأمة مرتبطة برسالة الإسلام الخاتمة، التي جعلهاالله -عز وجل- مرجعا للبشرية ترشدها في حاضرها ومستقبلها، فلا نجاة ولا فلاح إلا بحسن الفهم لنصوص القرآن والسنة. فاللهم ا ارزقنا الفهم الحسن والإخلاص في العمل.

الهوامش:

1: Richta Radovan, Sulc Ota. le prevision de l'avenir et la revolution scientifique et technique. P605.
In: Revue internationale des sciences sociales, no 4, 1969.

2: النمل 65

3: ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، س1998م/1419هـ، ط1، 187/6.

4: إلياس بلكا، إستشراف المستقبل في الحديث النبوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،كتاب الأمة: العدد:126، 1429هـ/2008م، ط1، ص 93.

5: الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي)، الموافقات في أصول الأحكام، الناشر، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م، ط5،11/1.

6: أبو داود (سليمان بن الأشعث الأزدي)، سنن أبي داود،كتاب الملاحم، باب ما يذكر في القرن المائة، الناشر المكتبة العصرية، بيروت، رقم الحديث، 4291، 109/4.

7: البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف اختصارا بصحيح البخاري،كتاب الإيمان، باب الدين يسر، الناشر دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، ط1، رقم الحديث:39، 16/1.

8: ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر دار المعرفة، بيروت، س 1959م/1379هـ، 94/1.

9: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (المعروف اختصارا بصحيح مسلم)،كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريبا، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، رقم الحديث 232، 130/1.

10: محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الفتن، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395 هـ / 1975 م. ط2، رقم الحديث: 2260، 526/4.

11: المباركفوري (أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح، 445/6.

12: الحاكم (محمد بن عبد الله النيسابوري)، المستدرك على الصحيحين،كتاب الأحكام، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م. ط1، رقم الحديث: 7022، 104/4.

13: سورة النساء 59.

14: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر في ذم الرأي وتكلف القياس، رقم الحديث: 7307، 100/9.

15: ابن حجر، فتح الباري. 287/13.
16: سورة هود 112.
17: مسلم، صحيح مسلم، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 246، 137/1.
18: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» رقم الحديث: 1920، 1523/3.
19: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ» رقم الحديث: 7311، 101/9.
20: ابن حجر، فتح الباري، 294/13.
21: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، رقم الحديث: 7312، 101/9.
22: ابن القيم (محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية)، مفتاح دار السعادة، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا تاريخ) 60/1.
23: المباركفوري، تحفة الأحوذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة. 332/7.
24: المصدر نفسه.
25: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض. رقم الحديث: 2890، 2216/4.
26: سورة العنكبوت 2.
27: سورة المائدة 105.
28: الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر. رقم الحديث: 2168، 467/4.
29: المباركفوري، تحفة الأحوذي، 324/6.
30: سورة آل عمران 110.
31: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج. رقم الحديث: 3346، 138/4.
32: سورة الحشر: 18.
33: البخاري، صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ. رقم الحديث: 7280، 92/9.
34: المصدر نفسه، رقم الحديث:128، 37/1.
35: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. رقم الحديث: 2816، 2169/4.
36: البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى، {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} رقم الحديث 7454، 135/9.
37: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الناشر المكتب الإسلامي، (بلا تاريخ)، رقم الحديث 1424، 300/1.
38: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، رقم الحديث: 2808، 2162/4.
39: البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم الحديث: 3265، 121/4.
40: سورة الانشقاق 6.
41: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، رقم الحديث: 3332، 133/4.
42: المصدر نفسه، رقم الحديث: 304، 68/1.
43: ابن ماجه، (محمد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، الناشر: دار الرسالة العالمية، 1430 هـ/2009 م، ط1، أبواب النكاح، باب حق الزوج على المرأة. رقم الحديث: 1852، 58/3.
44: ابن حجر، فتح الباري. 83/1.
45: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغلول. رقم الحديث، 3073، 74/4.

46: ابن حجر، فتح الباري، 186/6.

47: سورة المائدة: 3.

48: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله. رقم الحديث 2989، 2290/4.

49: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. الناشر دار المنهاج لبنان بيروت، 1430هـ/ 2009م، ط1، 621/1.

50: سعد محمد سدرة، الإخبارات النبوية المستقبلية، الأحاديث الواردة في الصحيحين والموطأ، جمع وترتيب، مطبعة سجلماسة للنشر، مكناس، المغرب، 2021م، ط1، وقد جمعت فيه كل الأحاديث المتعلقة بالموضوع.

51: سعد محمد سدرة، فقه المستقبليات من التأصيل إلى التقعيد، تقديم الدكتور إلياس بلكا، الدار المغربية للنشر والتوزيع، 1445هـ/2024م، ط1، ص80.